خطبة الإمام علي (عليه السلام) في النهروان

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال (عليه السلام) : (أيّها الناس أمّا بعد لم يكن ليفقأها (الفتنة) أحد غيري ، ولو لم أك بينكم ما قوتل أصحاب الجمل وأهل النهروان ، وأيم الله لولا أن تنكلوا وتدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى الله على لسان نبيّكم (صلّى الله عليه وآله) لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم عارفاً للهدى الذي نحن عليه) .

ثمّ قال (عليه السلام) : (سلوني قبل أن تفقدوني ، إنّي ميّت أو مقتول بل قتلاً ، ما ينتظر أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم) ، وضرب بيده إلى لحيته ، (والذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فئة تضلّ مائة أو تهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائقها) .

فقام إليه رجل فقال : حدّثنا يا أمير المؤمنين عن البلاء ، قال (عليه السلام) : (إنّكم في زمان إذا سأل سائل فليعقل ، وإذا سئل مسئول فليثبت ، ألا وإن من ورائكم أُموراً أتتكم جللاً مزوجاً ، وبلاء مكلحاً مبلحاً ، والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، إن لو فقدتموني ونزلت كرائة الأُمور وحقائق البلاء ، لقد أطرق كثير من السائلين ، وفشل كثير من المسئولين ، وذلك إذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق ، وكانت الدنيا بلاء عليكم وعلى أهل بيتي ، حتّى يفتح الله لبقية الأبرار ، فانصروا قوماً كانوا أصحاب رايات يوم بدر ويوم حنين ، تنصروا وتؤجروا ، ولا تسبقوهم فتصرعكم البلية) .

فقام إليه رجل آخر فقال : يا أمير المؤمنين حدّثنا عن الفتن ، قال (عليه السلام) : (إنّ الفتنة إذا أقبلت شبهت ، وإذا أدبرت نبهت ، يشبهن مقبلات ويعرفن مدبرات ، إنّ الفتن تحوم كالرياح ، يصبن بلداً ويخطئن أُخرى ، ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أُمية ، إنّها فتنة عمياء ، مظلمة مطينة ، عمت فتنتها وخصت بليتها ، وأصاب البلاء من أبصر فيها ، وأخطأ البلاء من عمي عنها ، يظهر أهل باطلها على أهل حقّها ، حتّى تملأ الأرض عدواناً وظلماً وبدعاً ، ألا وإن أوّل من يضع جبروتها ويكسر عمدها وينزع أوتادها الله ربّ العالمين .

وأيم الله لتجدن بني أُمية أرباب سوء لكم بعدي كالناب الضروس ، تعضّ بفيها ، وتخبط بيديها ، وتضرب برجليها ، وتمنع درها ، لا يزالون بكم حتّى لا يتركوا في مصركم إلاّ

تابعاً لهم أو غير ضار ، ولا يزال بلاؤهم بكم ، حتّى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلاّ مثل انتصار العبد من ربّه ، إذا رآه أطاعه ، وإذا توارى عنه شتمه .

وأيم الله لو فرّقوكم تحت كلّ حجر لجمعكم الله لشرّ يوم لهم ، ألا إنّ من بعدي جماع شتّى ، ألا إنّ قبلتكم واحدة ، وحجّكم واحد ، وعمرتكم واحدة ، والقلوب مختلفة) ، ثمّ أدخل أصابعه بعضها في بعض .

فقام رجل إليه فقال : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال (عليه السلام) : (هذا هكذا يقتل هذا هذا ، ويقتل هذا هذا ، قطعاً جاهلية ليس فيها هدى ولا علم يرى ، نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة) .

فقام رجل فقال : يا أمير المؤمنين ما نصنع في ذلك الزمان ؟ قال (عليه السلام) : (انظروا أهل بيت نبيّكم ، فإن لبدوا فالبدوا ، وإن استصرخوكم فانصروهم تؤجروا ، فلا تسبقوهم فتصرعكم البلية) .

فقام رجل آخر فقال : ثمّ ما يكون بعد هذا يا أمير المؤمنين ، قال (عليه السلام) : (ثمّ إنّ الله تعالى يفرج الفتن برجل منّا أهل البيت كتفريج الأديم ، بأبي ابن خيرة الإماء ، يسومهم خسفاً ، ويسقيهم بكأس مصبرة ، فلا يعطيهم إلاّ السيف هرجاً هرجا ، يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر ، ودّت قريش عند ذلك بالدنيا وما فيها ، لو يروني مقاماً واحداً قدر حلب شاة أو جزر جزور لأقبل منهم بعض الذي يرد عليهم ، حتّى تقول قريش : لو كان هذا من ولد فاطمة لرحمنا ، فيغريه الله ببني أُمية فيجعلهم (مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَ قُتِّلُوا تَقْتِيلاً سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً)) .